الحروب الأهلية واشكالية الاندماج الوطني في افريقيا

أ. علي مفتاح الجد*

أ. محمود عبد السلام البريدان**

مقدمة

تعدُ التوترات المتكررة والمستمرة في قارة إفريقيا التي أصبحت ترادف في أحيان كثيرة مصطلح العنف والحرب الأهلية مصدراً لتهديد الأمن العالمي بما تحتويه من تفشي لظاهرة النزاعات الاهلية والتي أصبحت جزء من الواقع الإفريقي نتيجة لعوامل تاريخية كالاستعمار ودوره في تشتيت الدولة الإفريقية الواحدة على أكثر من دولة، بالإضافة إلى بث ثقافة العداء والكره من خلال محاباة جماعة معينة على حساب جماعات أخرى قد تكون قبلية أو عرقية أو أثنية، وبالرغم من استقلال معظم دول القارة الإفريقية إلا أنه وميدانياً وجدت الجماعات المستفيدة وقت الاستعمار نفسها في حالة قوة واعتبرت أحقيتها لتولي شؤون الدولة أمراً مشروعاً نظراً لكفاءتها وعدم أحقية الجماعات الأخرى لعدم نضجها الفكري، لتواصل معظم النظم الإفريقية نمط سياسة الاستعمار في تعاطيه مع الصراعات الأهلية من خلال المحاباة والتفضيل والالتجاء إلى التحريك وتسيس بعض الجماعات، ونقلها إلى الطابع السياسي لتحقيق مكاسب ذاتية لصالح الحكام فيما يتعلق بتقسيم الثروة والمناصب، الأمر الذي اعتبرته هذه الجماعات المستهدفة إعتداءً وهضماً لحقوقها وجعلها تعتمد على العنف كآلية لتجسيد حقوقها وإيصال مطالبها إلى النظام الحاكم أو أحد الجماعات المهيمنة. ولذا فأن هذه الدراسة تأتي كمحاولة لإيجاد الخطوات الكفيلة للوصول إلى قارة آمنة ومستقرة من خلال إدماج إفريقيا في المنظومة العالمية. على ضوء ما تم تناوله من خلال التقديم تبرز معالم الإشكالية العامة لموضوع الدراسة وهي: ماهي المحددات الرئيسية التي حالت دون تحقيق الاستقرار في القارة الإفريقية والتقليل من تزايد حدة الصراعات الأهلية في معظم دولها؟. لمعالجة الإشكالية وتسهيل وجهة الدراسة تسعى الدراسة لاختبار الفرضية التالية فبتعدد العوامل المؤثرة على الحروب الأهلية في أفريقيا منذ حصولها على إستقلالها وحتى الآن حيث تتوزع هذه العوامل

* عضو هيئة التدريس بقسم العلوم السياسية - كلية الاقتصاد / الخمس.

** عضو هيئة التدريس بقسم العلوم السياسية- كلية الاقتصاد / الخمس.

بين عدة مستويات محلية، و إقليمية ودولية ووجود علاقة بين العامل الخارجي وطبيعة النزاعات الداخلية في أفريقيا. فبالتالي فإن طبيعة موضوع الدراسة هو الذي يفرض إتباع المناهج التي ينبغي اعتمادها فمن وجهة النظر أن أفضل المناهج لدراسة الحروب الأهلية ومشكلة الاندماج الوطني في إفريقيا قد تمثلت في:

-**المنهج الوصفي التحليلي** : لما تفتضيه الدراسة من وصف لأسباب الصراعات الأهلية وآليات انتشارها وغيرها من الظواهر التي تستدعي الوصف والتحليل.

منهج دراسة الحالة: وذلك من خلال تسليط الضوء على بعض النماذج من الدول التي تشهد حروب أهلية باستمرار ودراسة العوامل المؤدية إلى هذه الديمومة. واستناداً للإشكالية الرئيسية إجابة على التساؤل المطروح سلفاً، فقد تم تقسيم الدراسة إلى ثلاثة محاور كما يلي:

المحور الأول: ظاهرة الحروب الاهلية في افريقيا

تعد ظاهرة الحروب الأهلية من أبرز الظواهر بالقارة الأفريقية إذ أن أغلب أقاليم القارة قد عانت من هذه الظاهرة وكان لها آثارها العميقة ليس فقط على الحياة السياسية إنما على كافة مناحي الحياة في القارة الأفريقية، وسوف يتم تناول في هذا المحور على النحو التالي:

أولاً: التعريف بالحروب الأهلية

تعتبر الحروب والنزاعات الأهلية من ناتج محاولات الاستيلاء أو الحفاظ على السلطة ورموز الشرعية من خلال أدوات غير قانونية وهي أهلية لأن المدنيين يشاركون فيها، بالرغم من أن الحرب الاهلية تقع بين جماعات المجتمع فأنها تحدث داخل جماعة واحدة يرغب البعض منها في بلورة هوية إثنية أو سياسية. لذا يعرف البعض الحروب الاهلية تعريفاً إجرائيا بأنها تعتبر شكلاً من أشكال الصراع الداخلي في المجتمع تقوم به جماعه أو جماعات على أسس إثنية أو أيدلوجية من أجل تغير بعض السياسات الحكومية أو الاطاحة بنظام الحكم أو الحصول على الحكم الذاتي لمنطقة معينة أو الانفصال عن الدولة، ويشمل أعمال العنف المسلح والمنظم الواسع النطاق من جانب الأطراف المشاركة ويتم تنفيد العنف إنطلاقاً من مناطق معينة تمثل قاعدة عسكرية محددة لها(محمود،2001م، 25). ومن خلال هذا التعريف يمكن إبراز تصنيفات الحروب الاهلية في القارة الافريقية في إطار أربعة أنواع من الحروب الأهلية، وهي:

1_حروب أهلية أثنية انفصالية،

وهي الحروب الأهلية التي تتميز بالاستقطاب الاثني الحاد في المجتمع، وتنقسم خلالها الجماعات السكانية على أسس أثنية، بحيث يكون الهدف الرئيسي لجماعات المعارضة هو الانفصال عن الدولة الأم، وتكوين دولة جديدة، ومن الممكن إدراج ثلاثة حروب أهلية أفريقية في هذا النوع، وهى الحرب الأهلية النيجيرية محاولة انفصال إقليم "بيافرا"، ومحاولة انفصال شمال الصومال في إطار ما يعرف بجمهورية أرض الصومال، والحرب الأهلية في السودان ما بين الشمال والجنوب.

2_حروب أهلية أثنية غير انفصالية،

وهى الحروب الأهلية التي تنشب على أسس أثنية، ولكنها لا تنطوي على مطالب أو نزاعات انفصالية من جانب أي من الأطراف ويكون الهدف الرئيسي من هذه الحروب هو الصراع على السلطة وتتدرج أغلب الحروب الأهلية الإفريقية في إطار هذا النوع، حيث تدخل الحروب الأهلية في كل من (أنجولا – اوغندا –الصومال – ليبيريا – أثيوبيا – رواندا – بورندى – تشاد).

3_حروب أهلية انفصالية غير إثنية،

وهى الحروب الأهلية التي يكون الهدف منها متمثلاً في الانفصال عن الدولة، ولكن من دون أن تكون مرتكزة بالضرورة على أسس إثنية، وربما يقف وراء هذه الحروب فصيل منشق عن القوات المسلحة للدولة المعنية وقليلة جداً هذه النوعية من الحروب الأهلية، وربما كان من الممكن إدراج الحرب الأهلية في (زائير) محاولة انفصال إقليم (كاتنجا– شابا).

4_حروب أهلية غير إثنية وغير انفصالية،

وهي الحروب الأهلية التي لا تكون فيها خريطة التحالفات الأثنية واضحة، ويكون أساس عمليات التعبئة والحشد وبناء التحالفات في هذه الحروب هو الاعتبارات السياسية، وتقع هذه النوعية من الحروب الأهلية في الدول التي تتسم بتعددية ملحوظة في الجماعات القومية، أو القبلية، أو الدينية فيها، بحيث لا تستطيع كل جماعة إثنية أن تمثل فصيلاً مستقلاً في الحرب الأهلية، وربما كان من الممكن إدراج الحرب الأهلية في كل من (موزمبيق – الكونغو– زائير – سيراليون) في هذا النوع.

ثانياً: انماط الحروب الاهلية

بالرغم من تعقد وتشابك واقع الصراعات الافريقية فإنها يمكن القول إجمالاً أنه يوجد ثلاثة أنماط من هذه الصراعات وذلك على النحو التالي(عبدالرحمن،2007م، 196) :

1_نمط الصراعات الاثنية العنيفة: ولعل (منطقة البحيرات العظمى) تطرح نموذجاً واضحاً لهدا النمط من الصراعات فإن إحدى إشكاليات الصراع وعدم الاستقرار في هذه المنطقة ترتبط في المقام الأول بحقيقه الروابط والتفاعلات العرقية بين (التوتسي – الهوتو) وعدم تطابقها مع الحدود المورثة عن العهد الاستعماري.

2_نمط الدولة المنهارة: لقد ظهر هذا النمط الجديد من اشكال الدولة الإفريقية خلال الحقبة الجديدة للعولمة حيث أطلق عليه إسم (دولة أمراء الحرب المحليين) مثل ما هو الحال عليه في (جمهورية الكونغو الديمقراطية وليبيريا وسيراليون والصومال)، ونتيجة الصراعات التي يشهدها النسيج الاجتماعي لهذه المجتمعات فإن النخب المحلية والاقليمية تحصل على أرباح خيالية من خلال عمليات النهب، والسلب المنتظمة للموارد الطبيعية التي تتمتع بها هذه الدول.

3_نمط العنف السياسي المرتبط بالتحول الديمقراطي: لقد أدت ظروف التحول الديمقراطي التي شهدتها كثير من الدول الإفريقية حدوث اضطرابات عنيفة حيث يفسر البعض ذلك أن حالات الانفتاح والحرية السياسية تؤدي إلى ظهور التناقضات والانقسامات المجتمعية التي ظلت مكبوتة فترة طويلة من الزمن في ظل نظم الحكم التسلطية وفي هذا الصدد يمكن الإشارة إلى العديد من الحالات التي أخفقت فيها عملية التحول الديمقراطي في إفريقيا في تحقيق الاستقرار والتي تسببت في إزدياد حدة الصراعات الداخلية مثل (انجولا، وبورندي).

المحور الثاني : العوامل المؤثرة في الحروب الاهلية

تؤثر في الحروب الأهلية عدة عوامل على المستويين الداخلي والخارجي ويقصد بالعوامل مجمل الشروط التي تتحكم في كافة أشكال التبادل بين الفاعلين أو هي تلك العناصر المشكلة لبيئة النظام، وهي مصدر التدفقات التي تؤثر على مجمل الفاعلين الذين يدخلون في إطار هذا النظام فظاهرة الصراعات الأهلية كغيرها من الظواهر السياسية، تخضع في دراستها لثلاثة مستويات من التحليل، وذلك على النحو التالي:

أ –**الإطار المحلي للظاهرة** : الذي تتبع منه الظاهرة أو تقع في إطاره، ويشكل البيئة الداخلية لها، وهو بالغ الأهمية في فهم أي ظاهرة سياسية.

ب –الإطار الإقليمي للظاهرة: الذي ينتسب إليه الإطار المحلي ويؤثر فيه بدرجات متفاوتة، وقد يكون بالغ الأهمية ويفوق الأول في تأثيره على بعض الظواهر السياسية، وهو ما يعرف بالبيئة الإقليمية.

ج –الإطار العالمي للظاهرة : وهو الإطار الكلي الذي تحدث أو من المفترض أن تحدث في ظله الظاهرة السياسية، وأحياناً يكون هو الفاعل الأساسي، أما البقية فأهميتها أقل. فمن خلال هذه المستويات السالفة الذكر يمكن التطرق إلى العوامل المؤثرة في الحروب الأهلية على النحو التالي:

أولاً: العوامل الداخلية

يوجد العديد من العوامل الداخلية التي تؤثر في احتمال نشوب الحروب الاهلية. من بينها العوامل الاثنية، العوامل الاقتصادية، العوامل السياسية، أو العوامل الفردية وغيرها من العوامل الأخرى، مع الإشارة إلى عدم وجود ترتيب معين لهذه العوامل وإنما تتفاوت في تأثيرها من دولة إلى أخرى، ومن مرحلة إلى أخرى وثمة ملاحظة ينبغي الإشارة إليها في هذا الإطار وهى أن العوامل المؤدية لبروز ظاهرة الحروب الأهلية في المجتمعات الإفريقية هي في واقع الأمر عوامل متداخلة يصعب الفصل بينها واقعياً عند تحليل ودراسة الحالات المختلفة للحروب الأهلية في القارة، (محمود،2001م، 25). إذ أن تحليل ظاهرة الحروب الأهلية في القارة تكشف عن تداخل بين هذه العوامل ومن هذه العوامل:

أ_ العوامل الاثنية

تتميز المجتمعات الإفريقية بتعدد أشكال وأنماط التعددية سواءً تعددية إثنية أو دينية وتوجد العديد من اللغات واللهجات لذا تحتل النزاعات الإثنية مكانة مهمة على الساحة الدولية الأمر الذي يميز النزاعات الإثنية عن أنواع النزاعات الأخرى والتي يفترض فهما. فالنزاعات الإثنية هي تناحر بين مجموعتين أو أكثر في القضايا المهمة المرتبطة بمشاكل متنوعة من اقتصادية أو سياسية أو اجتماعية أو إقليمية (بلعيد، 2010م، 24). لذا فالجماعة الإثنية لها خاصيتان رئيسيتان تميزان الجماعات الإثنية من الناحية الاجتماعية(قاسم،2008م، 16).

1_ أن عضوية الجماعة الإثنية هي عضوية غير تطوعية فأفراد الجماعة يولدون فيها ويرثون خصائصها الإثنية المختلفة مثل الدين، واللغة، ولون البشرة.

2_ أن الجماعة الإثنية تتسم بخاصية التزاوج الداخلي فالأغلبية العظمى من أفراد أي جماعة إثنية ينهي بها الحال إلى الزواج من نفس الجماعة الإثنية.

فالحروب الأهلية التي يمكن وصفها بحروب إثنية إلى أبعد الحدود تلك التي عرفتها الشعوب الإفريقية في تاريخها الحديث حرب (كاتانغا) في كونغو الديمقراطية (1960م – 1977م)، و(حرب بيافرا) الانفصالية في نيجيريا (1967م – 1970م) التي حصدت ما يقارب عن مليون شخص، و(حرب الابادة) برواند (1994م) وغير ذلك من الحروب المتكررة بمنطقة البحيرات العظمى، وأنغولا، وتشاد، والسودان وفي غرب أفريقيا في ليبريا، وسيراليون وكوت ديفوار، ومالي، وفي جمهورية أفريقيا الوسطي ويندر وجود دولة إفريقية لم تشهد نوعاً من الصراعات المتلبسة بصبغة الهوية، دينية كانت أوعرقية، هذا ومما لا شك فيه أن تلك الصراعات تعد من أهم معوِقات التنمية والاندماج الوطني بإفريقيا الحديثة، وتكلف الشعوب قبل الحكومات خسائر مادية ومعنوية باهظة، ففي نيجيريا، على سبيل المثال، تجاوز عدد ضحايا الصدامات العرقية والدينية (30000) فيما بين (1980م – 2002م) بمعدل (1363) ضحية كل عام، وهذا يفوق عدد الألف الذي اشترط الباحثون أن يبلغه عدد ضحايا العنف الأهلي كل عام حتى يوصف بأنها حرب أهلية(بميا، 2016م، 43).

وعليه يمكن القول أن الحروب الجديدة تستند، بشكلٍ أساسي، على دوافع تتعلق بالهوية (الإثنية، الدينية، القبلية)، وذلك خلافاً للحروب القديمة التي قامت من أجل مصالح جيوسياسية أو أيديولوجية أو الديمقراطية أو الاشتراكية)، ولسياسات الهوية منطق مختلف عن الأهداف الجيوسياسية أو الأيديولوجية؛ لأنها تسعى إلى تحقيق المصالح الضيقة لجماعات معينة، بدلاً من تبني سياسات أو برامج ترتكز على متابعة المصلحة العامة في معناها الأوسع(أبوسنية، 2017م، 28).

ب. العوامل الاقتصادية

التخلف الاقتصادي يعتبر سبباً مباشر لنشوب الحروب الأهلية إذ أن محدودية القدرات الاقتصادية للدول الإفريقية يؤدي بالضرورة إلى عدم العدالة في التوزيع واستجابة الانظمة

لمطالب جماعات بعينها على حسابات جماعات أخرى الأمر الذي يسبب النزاعات الأهلية إما من قبل الجماعات التي تسعى إلى الحصول على نصيب من الامتيازات الاقتصادية أومن قبل الجماعات التي ترغب في الاستمرار في الحصول على الامتيازات الاقتصادية بمفردها دون مشاركة الجماعات الأخرى هذا من جهة. أما من جهة أخرى فبالرغم من أن الاختلالات الهيكلية التي تعاني منها القارة الإفريقية اليوم هي نتيجة مباشرة للاستعمار الذي سعى لأن تكون اقتصاديات الدول الإفريقية مجرد اقتصاديات متخلفة تابعة للمراكز الرأسمالية العالمية بما يضمن تقدم هذه الأخيرة(قاسم، 2008م، 17).

إلا أن السياسات الاقتصادية للدول الإفريقية المستقلة ساهمت هي الأخرى بقدر كبير في تعميق مشكلات الصراعات الأهلية إذ اتبعت الدول الإفريقية المستقلة حديثاً سياسات اقتصادية تمييزية، استهدفت في الغالب إرضاء الجماعات الإثنية التي ينتمي إليه الرئيس أو النظام الحاكم بما يعنيه ذلك من غياب للعدالة التوزيعية للسلع والخدمات فضلاً عن المكانة والمناصب السياسية والمراكز الإدارية، وهو الأمر الذي عمق مشكلة الاندماج الوطني في المجتمعات الإفريقية، ففي انجولا هدفت حركة (يونيتا) إلى السيطرة على مناطق شرق البلاد الغنية بمناجم الماس والثروات الطبيعية الأمر الذي نجحت فيه واستغلت عائدات الثروات في إدارة الصراع(محمود، 2001م، 176).

ثانياً: العوامل الخارجية

تشكلت الصراعات الأهلية بفعل العديد من المتغيرات والعوامل المرتبطة بالبيئة الخارجية للقارة، حيث ساهم الاستعمار الأوروبي بشكلٍ كبيرٍ في وضع بذور الحروب الأهلية في القارة من خلال النشأة المصطنعة للدول الإفريقية، ومن خلال السياسات الاستعمارية المتبعة في المستعمرات الإفريقية السابقة جاء التقسيم الاستعماري الذي جرى في مؤتمر برلين عام (1885م) متسقا فقط مع مصالح الدول الاستعمارية واتجاهاتهم للتوسع، بينما كان هذا التقسيم متناقضاً مع الواقع الاجتماعي والإثني للمجتمعات الإفريقية، حيث أفرز هذا التقسيم خريطةً استعمارية، جمعت بين مجموعات إثنية وعرقية لم يسبق لها العيش معاً، ولم يسبق لها التفاعل بعضها مع بعضها الآخر، كما هو الحال في (السودان، وتشاد، وأنجولا، ونيجيريا)، وغيرها من الدول. أيضاً ساهمت السياسات الاستعمارية في زيادة حدة الصراعات في الدول

الإفريقية عقب نيل هذه الدول استقلالها وإلى يومنا هذا فيما يُعرف بسياسة: (فرق تسد)، حيث تتملك بعض الجماعات مزايا اقتصادية، وتعليمية، وثقافية على حساب المجموعات الأخرى، كما هو الحال في (رواندا) عندما سيطرت (جماعة التوتسي) على الامتيازات الاجتماعية والاقتصادية(السنوسي، 2016م، 73).

وفي السودان لعب الاستعمار دوراً مختلفاً، وأن كان قد أسفر عن نفس النتيجة حيث قسمت الإدارة الاستعمارية السودان خلال فترة احتلالها له إلى جزئين، وأتبعت في كل منها سياسة استعمارية مختلفة، ففي الشمال كانت السياسة البريطانية تسمح بتطوير هوية قومية وفى الجنوب أتبعت بريطانيا سياسة بحظر اللغة العربية في الجنوب وحالت دون نفاذ التأثيرات العربية الإسلامية، بل وسمحت للبعثات التبشيرية التي يتم طردها من الشمال بالعمل في الجنوب وأصدرت السلطات الاستعمارية البريطانية قوانين مثل قانون المناطق المقفولة وقانون المرور وتجدر الإشارة إلى أن هذه الازدواجية أثرت على الصراع مع شمال وجنوب السودان الأمر الذي أضفي عليه أبعاداً جديدة(عبد الرحمن، 1999م، 199).

وتجدر الإشارة في هذا الصدد إلى أن القارة الإفريقية ومنذ إنتهاء الحرب العالمية الثانية شهدت ثلاث موجات من الحروب والصراعات الأهلية، يمكن الإشارة إليها على النحو التالي (أبو العينين، 1996م، 302).

الموجة الأولى : وقد انفجرت هذه الموجة في أعقاب الحرب العالمية الثانية، وتمثلت في حروب حركات التحرير ضد القوى الاستعمارية، وامتدت هذه الموجة حتى منتصف السبعينيات، واتسمت هذه الموجة من الحروب والموجهة بالأساس ضد القوى الاستعمارية بانخفاض تكاليفها، وضيق أو محدودية نطاقها.

الموجة الثانية: وشملت ظهور عدد قليل من الصراعات بين الدول الإفريقية فضلاً عن صراعات وحروب أهلية على نطاق واسع، وكان من أبرز أنماط النوع الأول الصراعات بين الدول الإفريقية حرب "الأوغادين" بين الصومال، وإثيوبيا 1977 – 1978م والحرب التنزانية، والأوغندية 1978 – 1979م.

الموجة الثالثة: بدأت هذه الموجة مع انتهاء الحرب الباردة، واتسمت الصراعات في هذه المرحلة بأنها في معظمها صراعات أهلية إذ أصبحت الحروب الأهلية النمط الأكثر شيوعاً في القارة الإفريقية بين أنماط الصراع الأخرى.

وعليه يمكن القول أنه يمكن للمساعدة الخارجية إحداث تغييرٍ جذري في علاقات القوة بين الجماعات المتحاربة. حيث ورد في تقرير لمؤسسة (راند) حول كيفية إنهاء التمردات المسلحة. حسب طبيعة الدعم الخارجي وانتظامه والذي يعد في كثيرٍ من الأحيان متغيراً حاسماً في تحديد مخرجات الحروب الأهلية. غير أن الوقائع الميدانية تؤكد أنه عندما لا تؤدي التدخلات الخارجية في الصراعات الداخلية إلى تحقيق نصرٍ عسكري سريع، فإنه من المرجح تصعيد حدة العنف المسلّح، وإطالة أمد الصراع بمرور الزمن، وما يرافقه من احتمالات اتّساع نطاق العنف الداخلي، وتحوله إلى حربٍ إقليميةٍ ممتدة، وهو ما يدفع إلى القول بقيام علاقةٍ سببية موجبةٍ بين التدخّل الخارجي وتفاقم العنف الداخلي؛ لأن إرساء السلام يتوقف في النهاية على دوافع الأطراف المتدخلة التي لا تخلو من النزعة "البراغماتية"، ومدى فعالية المبادرات الاقتصادية، أو الدبلوماسية، أو العسكرية التي تطرحها. ويمكن هنا الاستشهاد بالصراع في جمهورية الكونغو الديمقراطية الذي لم يؤد إلى احباط مسار تطوّرها السياسي والاقتصادي فحسب، وإنما استقطب أغلب الدول المجاورة لما اعتبر أكبر حرب في إفريقيا، من خلال انخراط سبع دولٍ إقليميةٍ على الأقل، سواءً لدعم (حكومة كابيلا) أو الحركات التمرّدية، منها (أنغولا، ناميبيا، زيمبابوي، أوغندا، ورواندا) وتنبع دوافع هذه الدول للتدخل في الصراع الكونغولي من منطلقين(أبوسنية، 2017م،31):

أوّلهما اقتصادي: يهدف وضع اليد على الثروات المعدنية في شرق "الكونغو"، ولا سيما النحاس، والكوبالت، والكولتان، والذهب، والألماس، والقصدير .

أما المنطلق الثاني: الانشغالات الأمنية المتمثلة أساساً في تفكيك معسكرات تدريب المتمرّدين الروانديين والأوغنديين في شرق الكونغو وتجميد نشاطهم، الذي ضاعف من التوتّرات السياسية على المحور كنشاسا – كيغالي – كمبالا.

المحور الثالث: انعكاسات الحروب الاهلية في افريقيا

ومن أبرز هذه الانعكاسات تفاقم مشكلة اللاجئين، ظاهرة تجنيد الأطفال في الصراعات المسلحة، ومشكلة انهيار الدولة، وانتهاكات حقوق الإنسان وانتقال الحروب الأهلية للدول المجاورة فيما يعرف بأثر العدوى، وفيما يلي سوف نتناول هذه الانعكاسات على النحو الآتي:

أولاً: مشكلة اللاجئين

تعد مشكلة اللاجئين في أفريقيا أحدى مشاكل القارة الرئيسة، وقاسماً مشتركاً بين معظم الدول الأفريقية، وهي تضيف لأزمات الهوية والشرعية مشكلة أخرى من مشاكل النظم السياسية الأفريقية، كما أن لها تأثيرات إقليمية تتجاوز حدود كل دولة أفريقية. حيث تزايدت أعداد اللاجئين في أفريقيا بشكل سريع، الذي قدر عددهم عام (2003م) بحوالي 3.2 مليون لاجئ. وبالرغم من أن سكان أفريقيا لا يمثلون سوى حوالي 12% من سكان العالم إلا أنهم يمثلون حوالي 32 % من لاجئي العالم البالغ عددهم حوالي 9.7 مليون لاجئ(توفيق، (د.ت)،1). لذا أسفرت أعمال العنف الممنهج أو المنظّم الموجهة أساساً ضد السكان المدنيين، باعتبارها السمة الأكثر بروزاً للحروب الجديدة، عن تضخم نسب النزوح القسري، بما في ذلك أعداد اللاجئين، وطالب واللجوء، والنازحون داخلياً الفارون من جحيم الموت، حيث تشير إحصائيات المفوضية السامية لشؤون اللاجئين التابعة للأمم المتحدة إلى وجود 16.1 مليون لاجئ حول العالم نهاية عام (2015م).

وتضمّ منطقة إفريقيا جنوب الصحراء أكبر تجمعٍ للاجئين بنحو 4.4 ملايين شخص، ينحدر معظمهم من خمس دول رئيسية، هي الصومال، جنوب السودان، جمهورية الكونغو الديمقراطية، السودان، وجمهورية إفريقيا الوسطى إذ قدر عددهم بنحو 3.5 مليون لاجئ في نهاية عام (2015م)، أي ما يعادل 80 % من إجمالي اللاجئين بهذه المنطقة(أبوسنية، 2017م، 30). ونتيجة لتزايد الانتهاكات لحقوق الأنسان في ظل أنظمة الحكم الفردية، والعنصرية والصراع الداخلي المرتبط باندلاع الحروب الأهلية بين الأحزاب السياسية، والقبلية، والعرقية، والدينية السبب المباشر في تدفق اللاجئين الأفارقة لذا يمكن ذكر بعض الاسباب التي تعاني منها القارة الأفريقية والمساهمة في مشكلة اللأجئين (الجبير،1992م، 206):

1_مشاكل الحدود والتقسيمات غير الطبيعية بين الدول التي تشكل الأسباب الرئيسية للصراعات الدائرة حتى الوقت الحاضر.

2_الصراعات الدولية التي تدور على أرض القارة.

3_ النظرة القبلية الفردية التي تعالج بها النخبة الحاكمة أمور سياستها الداخلية.

4_الاظطهاد الثقافي والديني.

الجدول التالي يوضح أهم حركات اللأجئين في القارة الأفريقية لعام(2013م – 2014م).

دولة اللاجئون	سبب اللجوء	الدولة المستضيفة	عدد اللاجئين
السودان	صراع سياسي و موارد	تشاد، اثيوبيا، كينيا	395.000
نيجيريا	صراع ديني	الكاميرون والنجير	650.000
اريتريا	صراع سياسي	السودان، واثيوبيا، كينيا	360.790
الصومال	صراع سياسي وديني وأثني	إثيوبيا، كينيا، اليمن	231.304
دولة جنوب السودان	صراع سياسي واثني	السودان، كينيا، أثيوبيا، اوغندا	201.580
إفريقيا الوسطى	صراع سياسي وموارد وديني	تشاد، الكاميرون	226.000
الكنغو الديموقراطية	صراع سياسي واثني	الكنغو برازفيل، اوغندا	لا يوجد
الكنغو برازفيل	صراع عرقي وموارد	==========	لا يوجد
بوركينا فاسو	صراع سياسي	مالي، تشاد، اوغندا، الكنغو، ساحل العاج، توجو	لا يوجد

المصدر: التقرير الاستراتيجي الافريقي الأول (2013م – 2014م)

ثانياً: تجنيد الاطفال في الصراعات المسلحة

يعتبر الأطفال من أكثر الفئات تعرضاً لمخاطر وآثار الحروب الأهلية، فهم إما يتعرضون للقتل أو الإعاقة أو التشريد عن منازلهم أو الانفصال عن ذويهم وفي معظم البلدان الأفريقية التي وقعت فيها الصراعات الأهلية، تميزت بخاصية النزاعات بإيديولوجيا التطرف والطائفية والانقسامات الإثنية أو الدينية التي حدت من قدرة السلطات الوطنية والمجتمع الدولي على الاستجابة وإلى جانب التحديات القائمة بسبب النزاعات التي طال أمدها مثل النزاعات في جمهورية الكونغو الديمقراطية والصومال، التي ارتُكبت فيها انتهاكات جسيمة ضد الأطفال، لا تزال مستمرة الأمر الذي أصبح تجنيد الأطفال واستخدامهم أمراً متوطناً في جمهورية أفريقيا الوسطى وجنوب السودان وفي كلتا الحالتين نجم عن الانقسامات الإثنية أو الدينية، التي أحدثتها الصراعات على السلطة، قتل آلاف الأطفال وتشويههم والاعتداء الجنسي عليهم،

وغير ذلك من الانتهاكات الجسيمة المرتكبة ضدهم وتعرض الحق في التعليم والصحة وهو حق مهمش بالفعل في هذين البلدين، لخطر شديد(زروق، 2014م، 4).

ومع شيوع ظاهرة استخدام الأطفال في الحروب خاصة غير الدولية منها، تبين أن مسبباتها ترجع إلى ثلاثة أقسام رئيسية في ما يأتي(**النادي، (د.ت) 31**):

1_الأسباب الاجتماعية: مثل الانتماء العشائري والقبلي وتقديم الولاء للقبيلة على الانتماء للوطن والإحساس بالفوارق الاجتماعية، وكذلك تعميق مسألة الثأر في ثقافة العشائر مع ضعف التسويات والملاحقات الحكومية، إضافة إلى انتشار الأمية.

2_**الأسباب الاقتصادية:** وهي تكمن في التفاوت في الثروات بين القبائل وهيمنة عناصر قبلية على مفاتيح اقتصادية مؤثرة، وسيطرتها بالتالي على باقي القبائل والعشائر الصغيرة باللعبة الاقتصادية، وانتشار تجارة الأسلحة الأوتوماتيكية وسهولة الحصول عليها.

3_**الأسباب السياسية:** تؤدي دوراً بارزاً في تجنيد الأطفال من خلال جعلهم وسائل تستغلها إما الجماعات المسلحة من جهة أو حركات التمرد من جهة أخرى، بالإضافة إلى ضعف الوازع الأخلاقي لدى الحركات المتمردة والجماعات المسلحة وعدم تقيدها بقواعد القانون الدولي الإنساني وأخلاقيات القتال، وصعوبة ملاحقة مرتكبي الجرائم ضد الأطفال.

ثالثاً: مشكلة انهيار الدولة

تعد مشكلة انهيار الدولة من أولى النتائج والآثار المترتبة على الحروب الأهلية، ويقصد بانهيار الدولة تقويض مؤسسات الدولة وأجهزتها بما لا يسمح لها بأداء وظائفها المختلفة. ويتخذ انهيار الدولة كنتيجة للحروب الأهلية نمطين أساسيين(العناني، 2001م، 72):

النمط الأول: هو الانهيار الشامل للدولة، ويقصد به إنهيار السلطة المركزية للدولة، ويحدث عندما تؤدي الإطاحة بالنظام إلى حدوث حالة من الفوضى الشاملة، بما لا يسمح لأي من الجماعات المتصارعة بالسيطرة على الحكم بصورة كاملة.

النمط الثاني: فهو الانهيار الجزئي ويقصد به ضعف سلطة الحكومة وترهل جهازها البيروقراطي الذي ينجم عنه عجز الدولة عن فرض سيطرتها على جميع أقاليم الدولة، ويتسم هذا النمط بأنه مؤقت، ويقتصر على فترة محددة من الحرب الأهلية.

ويمكن ابراز اسباب التي تؤدى استمرارية الحروب الاهلية:

1- التدخل الخارجي وتلقى الحكومة والمعارضة الدعم لاستمرار الحرب.

2- وضع المصالح الشخصية على مصالح العامة للوطن.

3- عدم وجود نزعة وطنية في البلد أو قلتها وعدم مقدرتهم في تغير الأوضاع.

4- إنتشار الفساد، والجهل، والفقر، و إنعدام الثقة بين أبناء البلد الواحد.

5- عدم وجود حوار حضاري يؤدى إلى الاتفاق.

رابعاً: سيناريوهات المستقبل

يمكن أن ننطلق كما انطلق بعض الكتاب الأفارقة من واقع الصراعات والحروب الداخلية في أفريقيا وهي تدخل الألفية الثالثة للميلاد، ووضعوا حلولاً وتصورات مختلفة لتحقيق الاستقرار والرخاء للشعوب الأفريقية، ومن ذلك(عبدالرحمن، 1999، 201):

السيناريو الأول: إعادة النظر في الخريطة السياسية لأفريقيا وإعطاء بعض الكيانات الكبيرة المهيمنة دوراً إقليمياً مسيطراً في أفريقيا مثل: مصر في الشمال، ونيجيريا في الغرب، وأوغندا وتنزانيا في الشرق، وجنوب أفريقيا في الجنوب.

السيناريو الثاني: النهضة الأفريقية، إذ يرى بعض المفكرين أن عمليات التهميش المتزايدة التي خضعت لها أفريقيا سوف تفضي في المدى البعيد إلى تحقيق النهضة الأفريقية والتي تعتمد على المنظور الذاتي الحضاري في أفريقيا.

السيناريو الثالث: أفريقيا الجديدة، إذا كانت أوروبا أكثر القارات حملاً للطابع البشري ولبصمات أصابع التاريخ فإن أفريقيا هي القارة البكر العذراء، يعني ذلك أن الأولى قد شاخت، وأصبحت هرمة لها تاريخ أكثر مما لها من مستقبل، والسؤال المطروح هنا هو هل يمكن للنخب السياسية الحاكمة اليوم في أفريقيا أن تملك إرادة التخطيط للمستقبل؟.

الخاتمة

تناولت هذه الدراسة واحدة من المشكلات الحقيقية المعقدة التي تواجه الدول الإفريقية، وهي الحروب الأهلية واشكالية الاندماج الوطني في محاولة لفهم واقع هذه النزاعات ورسم

خارطة مستقبلية تتعلق بمستقبلها وآلية التعامل معها. وقد كشفت الدراسة منذ البداية أن هذه النزاعات لها كلفة واقعية وكبيرة على واقع التنمية في هذه الدول بشكل خاص، وعلى مستقبل الدول الإفريقية كوحدة كبرى تواجه العالم على الأقل أو يضعها العالم في موقع المواجهة وقد حرصت الدراسة على مراجعة بعض حالات النزاع في الدول الإفريقية حيث بيّنت أن وجود عدد كبير من النزاعات الداخلية يشمل ما يزيد عن نصف الدول الإفريقية عددا وعن ثلثي هذه الدول مساحة وسكاناً، تضمنت الدول الفقيرة اقتصادياً وذات المواقع الإستراتيجية، ولقد أظهرت أن هناك تبايناً في أسباب النزاعات والحروب الأهلية من دول إلى أخرى، وحاولت ربط هذه الأسباب بما وضع من أفكار وآراء نظرية وعملية حولها لذا تعاني الدول الإفريقية بشكل كبير من الصراعات وأعمال العنف المسلح اللذين تسببهما العديد من العوامل الاجتماعية، والاقتصادية والسياسية وترتبط معظم الصراعات، بالحدود والنزاعات الإقليمية والحروب الأهلية والصراعات الداخلية التي لها تداعيات دولية إلى جانب الصراعات السياسية، والأيديولوجية، والمطامع و نزاعات الانفصال وقد أدت هذه الصراعات إلى سقوط الكثير من الاصابات و الوفيات البشرية إلى جانب إرتفاع مستوى الأمية بين صفوف الكبار، كما سببت في حدوث موجات من اللجوء والنزوح الداخلي، والخسائر الزراعية واستنزاف للموارد الطبيعية.

من خلال هذه الدراسة نستخلص جملة من النتائج والتوصيات ولعل أبرزها فيما يلي:

النتائج

1_ تعدد الاجناس والاعراف واللغات والعقائد يؤدي لوجود تنافس فبغياب الوعي يتحول هذا التنافس إلى حروب أهلية.

2_ عمق الانتماء القبلي والعرفي لدى سكان القارة أكثر من الانتماء الوطني.

3_فرض الدولة الحديثة بالقوة في إفريقيا التي نتجت عن عملية التحديث التي جرت في العصر الاستعماري لذلك نجد تعايش نظامان سياسيان في وقت واحد داخل الدولة.

4_عدم الاستقرار السياسي أو الانقلابات المتكررة التي تحدث أغلبها بسبب النعرات القبلية أو العرقية أو الأثنية التي ساعدت على الحروب الأهلية في القارة الافريقية تعرض الأطفال والنساء لا بشع أنواع الاستغلال خلال الحروب الأهلية.

ب_ التوصيات

1_إجراء تغيرات دستورية تسمح بالتنوع الإثني وتغير في النظم الانتخابية تسمح بتمثيل كل المجتمع بحيث تقضي على عدم الاستقرار السياسي.

2_ إتباع سياسية اقتصادية رشيدة تحقق النمو والتقدم الاقتصادي لكي تحقيق الاستقرار والرفاهية الاجتماعية

3_ فرض الحظر على امداد السلاح والتسلح أو التعبئة العسكرية.

4_ تدخل المجتمع الدولي وحل المشاكل عن طريق السبل الدبلوماسية أو الامم المتحدة.

المراجع

1_ أحمد أبراهيم محمود (2001م)، **الحروب الأهلية في افريقيا**، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية، القاهرة.

2_ آدم بميا، (2016م)، صراع الهوية في أفريقيا: التأرجح بين القبيلة، والدولة، **مجلة قراءات افريقية**، العدد (27).

3_أحمد الجبير(1992)، **العلاقات العربية الافريقية**، طرابلس، منشورات الجامعة المفتوحة.

4_ التقرير الاستراتيجي الافريقي الأول (2013م – 2014م).

5_حمدي عبد الرحمن(1999م)، **مشكلة جنوب السودان** ، القاهرة، الهيئة المصرية للكتاب.

6_حمدي عبدالرحمن(2007م)، **افريقيا وتحديات عصر الهيمنة**، القاهرة، مكتبة مدبولي.

7_خليل العناني، (2001م) العوامل الداخلية لتآكل مؤسسة الدولة في إفريقيا، **مجلة آفاق إفريقية**، المجلد الثاني، العدد (6) ، يوليو.

8_راوية توفيق، **مشكلة اللاجئين في افريقيا**، **www**.alukah.net.

9_رضاء جمعة عيسي قاسم، (2008)، **الحروب الأهلية وأثرها على التنمية**، رسالة ماجستير غير منشورة، أكاديمية الدراسات العليا، طرابلس

10_سمية بلعيد، (2010م) **النزاعات الاثنية في إفريقيا وتأثيرها على مسار الديمقراطية فيها: جمهورية الكونغو الديمقراطية نموذجا**، رسالة ماجستير منشورة، جامعة منتوري – قسنطينة، الجزائر.

11 _سعاد أبوسنية، (2017م)، الحروب الإفريقية في عصر العولمة: دراسة في الطّبيعة والميكانيزمات، **مجلة قراءات افريقية**، العدد، (31) ، مارس.
قسنطينة، الجزائر.

12_قاسم، رضاء جمعة عيسي، (2008م) **الحروب الأهلية وأثرها على التنمية**، رسالة ماجستير غير منشورة، أكاديمية الدراسات العليا، طرابلس.

13_ليلي زروقي، (2014)، **التقرير السنوي للممثلة الخاصة للأمين العام المعنية بالأطفال والنزاع المسلح.**

14_محمد النادي، الأطفال الجنود في ظل القانون الدولي الإنساني، **المستقبل العربي**، مركز دراسات الوحدة العربية، **www.caus.org.lb/PDF**.

13_محمود أبو العينين(1996م)، **الجذور التاريخية للمشكلات الإفريقية المعاصرة**، القاهرة، الهيئة العامة للكتاب.

16_نجم الدين محمد عبدالله السنوسي، (2016م)، دور الشعوب الإفريقية في تعزيز السلم والأمن، **مجلة قراءات افريقية**، العدد (27)، يناير.